المحاضرة الخامسة

الخلافة في عهد المهدي والهادي

أولاً :الخلافة في عهد المهدي

1-التعريف بالمهدي

هو أبو عبد الله محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .يقول الفخري أنه كان شهماً فطناً كريماً .ولد بالحميمة سنة126 هـ744/م، اهتم المنصور بتثقيفه وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره بدأ يعده للخلافة فأرسله في عدة مهمات عسكرية وعينه على عدد من المناصب الإدارية .وفي سنة147 هـ764/م عينه والياً للعهد، ثم بويع له بالخلافة بعد وفاة أبوه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره.

2-الأوضاع الداخلية

أ -إصلاحاته

تعتبر خلافة المهدي فترة انتقال بين عهد القمع الذي ساد فترة الخلفاء المؤسسين للدولة، وعهد اللين والاعتدال الذي امتازت به خلافته .تلخصها مقولة المنصور لابنه" :إني تركت الناس 3 أصناف :فقير لا يرجو إلا غناك وخائفاً لا يرجو إلا أمنك ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك ."حيث استهل حكمه باسترضاء الرعية، فنظر إلى دفتر القبوض ورد الأموال إلى أهلها وأطلق سراح المسجونين السياسيين لاسيما العلويين من بينهم الحسن بن إبراهيم الذي هرب من الحبس وأعاد لهم أرزاقهم.

الحجاز

حاول استمالة أهل الحجاز أثناء حجه سنة160 هـ777/م، فوزع عليهم الأموال 30) مليون درهم ونصف مليون دينار و 150ألف ثوب .(وفك الحصار السياسي والاقتصادي الذي كان مضروباً عليهم منذ مساندتهم لحركة محمد النفس الزكية .وسمح باستيرادهم الحبوب والمنتجات من الشام ومصر .وأدخل بعض الحجازيين في حرسه الخاص . كما أقام بعض المشاريع هناك مثل توسيعه المسجد الحرام والمسجد النبوي .واصطفى 500 من الأنصار وجعلهم في حرسه الشخصي .كما أعطى في سنة164 هـ لأولاد المهاجرين والأنصار لكل واحد 3 ملايين درهم.

الشام

أولى الشام أهمية خاصة، فزار دمشق عاصمة الأمويين السابقة، كما زار بيت المقدس .وعمل على تسوية الخلافات القبلية الموجودة بين القبائل العربية في بادية الشام ووزع عليهم الأموال.

أعماله الحضارية

أنفق جُل وقته في البناء والتعمير :فأقام المحطات على الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة، وحفر الآبار وبنى الأحواض ووضع عليها الحرس لحمايتها .وأقام البريد بين المدينة ومكة واليمن .وبنى المدارس والمستشفيات واهتم بالمجذومين والمساجين .وأولى اهتماماً كبيراً بالتجارة فأنشأ شبكة واسعة من الطرق التجارية فأصبحت بغداد مركزاً تجارياً عالمياً .وعيّن الأمناء في مختلف الولايات ليوافوه بالأخبار .وحرص على إقامة العدل بين رعيته، فكان يجلس للمظالم ويستمع للشكاوى، وكان يشرك معه القضاة للفصل في النزاعات.

كما أنه أول من سنّ سنة كسوة الكعبة المشرفة بكسوة جديدة في كل عام .وأصبحت الحكمة والشعر والأدب والموسيقى من مميزات ذلك العصر .في الحقيقة أن المهدي من خلال إصلاحاته هذه كان يريد التكفير عن التجاوزات التي طبع بها عصري السفاح والمنصور.

ب -الحركات المعارضة

استمرت الحركات الفارسية التي قامت في وجه المنصور نشطة في أيام المهدي، وقد أخمد الخليفة حركة المقنع الخراساني) اسمه هاشم بن حكيم (الذي ثار عليه ما بين163-159 هـ779-776/م، وخرج من مرو وادّعى الألوهية، وربط حركته بزعيمهم الروحي أبي مسلم الخراساني .كما شهد عصر المهدي خروج حركات مماثلة أخرى من بينها حركة" يوسف البرم "في خراسان وحركة عبد الله بن مروان بن محمد الأموي في بلاد الشام، وحركة الخوارج بقيادة عبد السلام بن هشام اليشكري، ولكن الخليفة استطاع التغلب عليهم.

وشكّلت ظاهرة الشعوبية والزندقة خطراً جديداً على الدولة العباسية، حيث ظهرت طائفة من الفرس تتبنى المعتقد الزرادشتي والمانوي وتشكك في الدين الإسلامي .وقد حارب المهدي هذه الحركات وجد في سنة167 هـ في طلب الزنادقة، وأنشأ ديواناً خاصاً بهم سماه" ديوان الزنادقة."

3-الأوضاع الخارجية

بعد اعتلاء ليون الرابع عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة158 هـ775/م، أطلق سراح المسجونين المسلمين وعمل على تحسين العلاقات بين الطرفين .ولكن الإمبراطور البيزنطي هاجم" سمسياط "سنة159 هـ776/م، فردّ المهدي بإرسال جيش بقيادة عمه العباس بن محمد فتوغل داخل الأراضي البيزنطية حتى وصل إلى أنقرة .وفي سنة 164هـ781/م أرسل الخليفة حملة ضخمة بقيادة هارون، فخضعت الإمبراطورة إيرين لشروط الصلح التي أقرها هارون، وأهمها :دفع جزية سنوية تتراوح بين 70 و 90ألف دينار، وتبادل الأسرى بين الطرفين .ونتيجة لهذا الإنجاز الكبير لقّب المهدي ابنه هارون بـ"الرشيد."

4-ولاية العهد ووفاته

خلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد، وعهد إلى ولديه موسى الهادي ثم هارون الرشيد .توفي المهدي لـ 8 بقين من محرم169 هـ785/م، بقرية الروذ بعد اصطدامه بباب خربة أثناء ممارسته رياضة الصيد.

ثانياً :الخلافة في عهد الهادي

1-التعريف بالهادي

هو موسى الهادي بن محمد بن عبد الله المنصور .ولاه أبوه ولاية العهد وهو في 16 من عمره، كما ولاه قيادة جيوش المشرق .نشأ الهادي في محيط مترف، وكان أبوه يدعوه بـ"ريحانتي ."ولي الخلافة في محرم 169هـ785/م وعمره 25 سنة.

2-الأوضاع الداخلية

شدّد الهادي على الطالبيين فقطع الصلات والأرزاق عنهم، وأمر ولاته بمراقبة تحركاتهم .فاتجهوا إلى الحسين بن علي من أحفاد الحسن بن علي رضي الله عنه وحثّوه على الخروج ضد الخليفة .وفي 13 ذي القعدة169 هـ786/م خرج الحسين واستولى على المدينة، ثم قصد مكة وعسكر في وادي فخ، ولكن الجيش العباسي وصل وقضى عليه فسُمّي بـ"قتيل فخ."

وهكذا تلاشى حلم الطالبيين في الإطاحة بالعباسيين، واستطاع إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن الحسن من الفرار، فذهب الأول إلى الغرب الأقصى وأسس الدولة الإدريسية .وقد ورث الهادي عن أبيه كراهية الزنادقة، فانتهج نفس سياسته في تتبعهم والتنكيل بهم.

3-ولاية العهد ووفاته

عزم الهادي على خلع أخيه هارون من ولاية العهد وأخذ البيعة لابنه جعفر، وكاد أن ينجح في ذلك لولا أن تدخّل يحيى بن خالد البرمكي وثبّت هارون .توفي الخليفة الهادي وأُخذت البيعة لأخيه هارون الرشيد.

المحاضرة السادسة

الخلافة في عهد هارون الرشيد

1-التعريف بهارون الرشيد

هو هارون الملقب بالرشيد، ابن المهدي وأمه الخيزران .ولد بالري في ذي الحجة سنة150 هـ .بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة170 هـ786/م، وعمره 25 سنة .ظهرت عليه ملامح النجابة والذكاء منذ صغره.

كان الرشيد متديناً، ورعاً، محافظاً على التكاليف الشرعية، متمسكاً بنصوص الكتاب والسنة، فكانت حياته بين حج وغزو، وحج ماشياً ولم يحج ماشياً خليفة غيره .يُعتبر الرشيد من أوسع الخلفاء العباسيين شهرة وهو سيد ملوك بني العباس بلا منازع، ويُعتبر عصره العصر الذهبي للدولة العباسية، فأصبحت بغداد مركز إشعاع الدنيا.

2-الأوضاع الداخلية

أ -العلويون

رأى الرشيد في مستهل حكمه أن يستميل الطالبيين عن طريق الرفق بهم بعد سياسة الهادي العنيفة، فمال إلى التعاطف معهم، ورفع الحجر عمن كان منهم ببغداد سنة171 هـ وأرجعهم إلى المدينة .ولكن هذا الصفاء لم يدم طويلا، فالطالبيون لم يعدلوا عن اعتقادهم الراسخ بأحقيتهم بالخلافة.

الديلم

نتج عن موقعة فخ الشهيرة169 هـ786/م هروب يحيى بن عبد الله إلى بلاد الديلم، فاشتدت شوكته وأعلن خروجه على الخليفة في سنة176 هـ792/م .فندب إليه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألف رجل، ونجح في استمالته إلى الصلح .ثم أطلقه دون علم الخليفة فالتجأ إلى الحجاز، فقبض عليه الرشيد وسجنه ثم قتله.

الدولة الإدريسية

أما إدريس فقد استقر بإقليم طنجة بالمغرب الأقصى وأقام الدولة الإدريسية، وهي ثاني دولة تنفصل عن جسم الخلافة بعد الدولة الأموية في الأندلس .فلجأ الرشيد إلى الحيلة للتخلص من إدريس، فأرسل رجلاً دهاءً اسمه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ فقتله بالسم في سنة177 هـ793/م .ولكن مقتله لم يقضِ على الدولة الإدريسية، فقد كان متزوجاً وتركت زوجته ابناً سمّوه إدريس أصبح المؤسس الحقيقي للدولة الإدريسية.

الإمام موسى الكاظم

كان الرشيد يراقب تحركات الطالبيين في الحجاز، فعلم بالتفاف الناس حول الإمام موسى الكاظم ابن جعفر وأنهم يحملون له خمس أموالهم، فقبض عليه وسجنه، وتوفي في سنة183 هـ799/م.

ب -الخوارج

في سنة178 هـ خرج الوليد بن طريف الشاري على الرشيد في الجزيرة وجعل مركزه نصيبين، وهزم عدة جيوش وامتد سلطانه على أرمينية وأذربيجان .فأرسل إليه الرشيد قوة عسكرية سنة179 هـ795/م بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني، وقُتل الوليد على إثرها فتضعضع شأن الخوارج.

ج -الاضطرابات في المشرق

أطلق الرشيد أيدي عماله على الأقاليم الشرقية، ولعل أكثر الولاة جشعاً هو علي بن عيسى بن ماهان الذي حكم خراسان مدة 10 سنوات تميزت بالظلم، فخرج عليه رافع بن الليث وتبعه سكان خراسان وبلاد ما وراء النهر . فعزل الرشيد علي بن عيسى وصادر أمواله وعين مكانه هرثمة بن أعين .ولكن رافع جدد حركته المعادية فاضطر الرشيد أن يخرج بنفسه إلى خراسان، إلا أن المنية وافته في الطريق.

3-السياسة الخارجية

أ -مع الإمبراطورية البيزنطية

استمر الصراع بين المسلمين والبيزنطيين على عهد الرشيد .حرص الخليفة على اتباع سياسة متوازنة تجمع بين الدفاع والهجوم .وأنشأ على الحدود مناطق إدارية ذات حرية ذاتية، ووضع لمنطقة الحدود نظامين :نظام أمامي يضم الثغور الجزرية والشامية، ونظام خلفي يضم الأقاليم الخلفية والحصون سمّاها العواصم تمتد من أنطاكيا إلى الفرات.

في سنة182-181 هـ797/م غزا الرشيد بنفسه أرض البيزنطيين وطلبت إيرين الهدنة .واستمرت الهدنة حتى سنة 187هـ803/م حين نقضها نقفور الأول، فقاد الرشيد حملة عسكرية توغل فيها في كبادوكيا وأجبر نقفور على الصلح .وفي190 هـ806/م نقض نقفور العهد مجدداً فقاد الرشيد حملة ضخمة وعقد معاهدة صلح جديدة .ولما نقض نقفور بنودها مجدداً استأنف الرشيد العمليات العسكرية ونجح في فتح حصن دبسة، مما دفع نقفور إلى جعل يوم وفاة الرشيد 3 جمادى الثانية193 هـ809/م عيداً للبيزنطيين.

ب -تجاه الفرنجة

كان العالم الإسلامي في عهد الرشيد يشهد وجود قوتين إسلاميتين هما الخلافة العباسية في بغداد والدولة الأموية في الأندلس، في الحين انقسم العالم المسيحي إلى الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ودولة الفرنجة الكارولنجية بقيادة شارلمان في الغرب .أسهب المؤرخون الغربيون عن وجود علاقات وطيدة بين هارون الرشيد وشارلمان، بدأت في سنة181 هـ797/م.

غير أن الحقائق التاريخية تنفي احتمال قيام تحالف سياسي حقيقي بين الدولتين، لأن (1) :تلك السفارات وردت في الكتب الغربية فقط دون المصادر الإسلامية (2) .لم يكن الرشيد بحاجة لمساندة الغرب لأنه كان المنتصر وفرض الجزية على البيزنطيين (3) .لا وجود لعوامل ثقة تكفي لإقامة تحالف بين الدولتين (4) .إن نظرية حماية شارلمان للأماكن المقدسة تعد أسطورة اخترعها الراهب سانت جول .ولا شك أنه كانت هناك علاقات تجارية وسياسية بعيدة كل البعد عن التحالف السياسي الرسمي.

4-النظم الإدارية

رجع نفوذ الحريم إلى قوته في خلافة الرشيد، فقد كانت أمه الخيزران تتدخل في تسيير شؤون الدولة، كما كانت زوجته زبيدة تتدخل في السياسة .وشهد عصره بروز وزارة التفويض، والتنكيل بأسرة البرامكة التي تربعت على منصب الوزارة مدة طويلة، فقتل الرشيد جعفر في الليلة الأولى من شهر صفر سنة187 هـ803/م، وسجن يحيى وباقي أبنائه وصادر ممتلكاتهم.

اهتم الخليفة بنشر العدل بين الرعية، وأقام رجال العدالة في جميع الأمصار .واستحدث منصب قاضي القضاة . واهتم بحفظ الأمن في العاصمة بدس شبكة من العيون بإمرة صاحب الشرطة .وخفّف الخليفة ضريبة الخراج في السواد، وأكرم المهاجرين والأنصار، وأنشأ الكتاتيب لليتامى.

5-ولاية العهد ووفاته

اختار الرشيد في سنة175 هـ791/م ابنه محمد الأمين ولياً للعهد، ثم في سنة183 هـ799/م بايع لابنه عبد الله المأمون ولاية العهد بعد الأمين وولاه خراسان .وفي سنة186 هـ806/م بايع لابنه القاسم المؤتمن بعد المأمون وولاه الجزيرة والثغور والعواصم .وحج الرشيد سنة186 هـ وأخذ العهد على ولديه بألا يتدخلا في شؤون بعضهما البعض.

في سنة193 هـ808/م خرج الرشيد من بغداد قاصداً خراسان لوضع حد لثورة رافع بن الليث .ولما وصل إلى مدينة طوس اشتكى من علة في بطنه وتوفي ليلة السبت 3 جمادى الآخرة193 هـ809/م .دُفن بقرية سناباذ، وصلى عليه ابنه صالح وكان عمره 45 سنة، ودامت خلافته 23 سنة وشهرين وستة عشر يوماً.